



أخيراً فعلها الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، ووجه ضربة عسكرية لقوات نظام الأسد، مسجلاً بذلك سابقة في التعامل الأميركي مع الملف السوري، ومنذها تهدىء بعد أن اطلع على تفاصيل مجزرة الكيماوي البشعة التي ارتكبها مقاتلات النظام بحق الآمنين في بلدة خان شيخون، وذهب ضحيتها عشرات من الأطفال والنساء والرجال والشيوخ.

وعلى الرغم من أن الضربة الأميركيّة محدودة، إلا أنها أحدثت صدمة قوية لدى أركان النظام السوري وحليفيه، الروسي والإيراني، كونها استهدفت مطار الشعيرات الذي انطلقت منه طائرات النظام للقيام بمجزرة خان شيخون، وهو من أهم المراكز العسكرية. وأفادت تقارير بأن الضربة دمرت عشرات طائرات الميغ 23 والميغ 25 والقاذفات سوخوي 25، وحظائر الطائرات الإسمنتية فيه والدفاعات الجوية المحسنة حوله، وجميع أنظمة الدفاع الجوي والرادارات المحيطة به، والأهم أن صواريخ توماهوك الأميركيّة دمرت مقرًا للطيارين، الذي يوجد فيه ضباط إيرانيون، ولن تتجرأ إيران عن كشف حجم خسائرها فيه.

ما يسجل للرئيس ترامب أنه لم ينتظر طويلاً كي يعاقب النظام الأسد، فجاء رده السريع عسكرياً، لكي يوجه رسالة قوية إلى قوتي احتلال سوريا، روسيا وإيران، تفيد بأن قواعد اللعبة تغيرت، وعليهما تغيير قواعد تعاملهما مع النظام، ما يكشف عن تغير سريع في نظرية الإدارة الأميركيّة حيال الملف السوري، ويشي بأن الولايات المتحدة انتقلت إلى مرحلة جديدة في تعاملها مع القضية السورية، وأنها وصلت إلى نقطة اللاتردد في استخدام القوة العسكرية ضد انتهاكات النظام وجرائمها، وليس مجرد التلوّح بها، خياراً مطروحاً من بين خيارات أخرى.

وتعبر لغة القوة والتصعيد في خطاب ترامب، بعد مجزرة خان شيخون، عن نقلة نوعية سريعة في السياسة الأميركيّة حيال

النظام السوري والموقف منه، بعد أن حضرت أولويتها في الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية. وتتجدد هذه اللغة امتداداتها في أن طاقم الإدارة الأمريكية الحالية يريد أن يحدث قطيعة مع سياسة الإدارة السابقة التي تراحت كثيراً حيال إجرام النظام السوري، وحيال التدخل العسكري المباشر لروسيا وإيران إلى جانبه في حربه ضد غالبية السوريين، أكثر من ست سنوات.

ولعل واقع القتل اليومي الذي يمارسه النظام وحلفاؤه يفيد بأنهم لم يكونوا بحاجة إلى استخدام الأسلحة الكيميائية، كي يوقعوا مزيداً من الضحايا بين المدنيين السوريين، ويمتلكون وسائل قتل وتدمير أخرى عديدة، لكن يبدو أنهم أرادوا اختبار موقف الرئيس ترامب وإدارته وردة فعلهما، حيال قيامهم بمجزرة كيماوي جديدة، فكان الرد الأميركي مفاجئاً لهم، وحاول الروس امتصاص الغضب الأميركي والأوروبي عبر المماطلة في مجلس الأمن، والتلويع بحق النقض (الفيتو) للحيلولة دون صدور قرار يدين النظام، ولفقوا روايةً عن قصف مقاتلات النظام مخازن مواد كيماوية في منطقة المجزرة، وأوزعوا لوزير خارجية النظام، وليد المعلم، بأن يخرج بعد سبات طويل، ويوحي للولايات المتحدة بأن النظام الأسد مستعد للمساومة مرة أخرى على صفة كيماوي جديدة، لكن الأميركيين لم يكتروا لما تفوه به، واختار الرئيس ترامب خيار معاقبة النظام، ولو بشكل محدود، وهو أمر سيحسب له النظام كثيراً مني اليوم، وسيدرسه الساسة الروس جيداً، فيما سيتلمس ساسة نظام الملاي الإيراني رؤوسهم، لأن دورهم قادم، وعليهم أن يستعدوا لمفاجآت إدارة أميركية تعتبر نظامهم أكبر راع للإرهاب في العالم، ولا عبرة لمن اعتبر.

والأهم من ذلك كله أن للضربة الأمريكية لقوات النظام ما بعدها، ولها تداعياتها وآثارها القوية، كونها تدشن مرحلة جديدة للتعامل والانخراط الأميركي في الملف السوري، وتعلن أن مرحلة الإفلات من العقاب التي دشنها الرئيس السابق، باراك أوباما، قد ولت، وأن النظام وحلفاءه لم يعودوا مطلقي اليد في تغولهم بالدم السوري. وبالتالي، تتعدد القراءات حول المسار الذي يمكن أن تتخذه أصوات الضربة العسكرية الأمريكية للنظام، باختلاف تأويل وتفسير ما تريده الولايات المتحدة من أدوار قد تقوم بها في الملف السوري، في ظل التطورات المتتسارعة التي أحدثتها، خصوصاً وأن أركان إدارة الأميركيين بدأوا يتحدثون، بعد مجزرة الكيماوي في خان شيخون، عن الشروع بتشكيل تحالف دولي لإسقاط نظام الأسد، وإيجاد حل سياسي لا يكون للأسد فيه أي دور، إضافة إلى تحرك دولي باتجاه إنشاء مناطق آمنة في جنوب سوريا وشمالها، وإنها الدور الإيراني في سوريا، وإجبارها على سحب مليشيات حزب الله والمليشيات الطائفية الأخرى التي استقدمها نظام الملاي الإيراني من العراق وأفغانستان، وزجها في الحرب إلى جانب النظام ضد السوريين، والأيام المقبلة كفيلة بكشف مسار الأمور، وفي أي اتجاه.

العربي الجديد

المصادر: